(٨٣) أبو علي الثقفي[١]

ذكر الشيخ أبي علي الثقفي رحمه الله:

كان قدّسَ اللهُ سرَّه إمامَ وقته، وعديمَ النظير في زمانه.

وصحب أبا حفص الحداد، وحمدون القصّار رحمهم الله.

والتصوف في نيسابور منه اشتهر.

ومات رحمه الله سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة[٢].

وكان رحمه الله كاملاً في العلوم الشرعية، ماهرًا في كلِّ الفنون، وتركَ كلَّها واشتغلَ بالتصوف، ودخل بين الصوفية.

وكان [له] بيانٌ عجيب، وخُلقٌ عظيم، حتى نقلُ أنَّ جارًا له كان يلعبُ بالحمام، وحماماتُهُ كانت تقعُ على حائط الشيخ، وذلك الرجلُ يَرمي إليها بالحصيات، ويصيحُ ويُعيّطُ ويُشوّشُ الشيخ وأصحابَهُ، وهم في غايةِ المشقّة منه، إلى أن رمى بحصاةٍ وقعتْ على جبهةِ الشيخ وكسرتها، ففرحَ الأصحابُ وقالوا: الآن يبعثُ الشيخُ إلى الحاكم[٣] ويعرّفُهُ الحالَ، ويؤدّبُ الحاكمُ هذا الرجل، ونستريحُ من إيذائه، وهم في هذا الفكر أنَّ الشيخَ رفعَ رأسهَ، وأمرَ

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب، وترجمته في:

طبقات الصوفية ٣٦١، الرسالة القشيرية ١٠٠، الأنساب ٣/ ١٣٥، مناقب الأبرار ٦٨٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٠١، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٠، الوافي بالوفيات ٤/ ٧٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٠، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٩٢، طبقات الإسنوي ١/ ٣٢٥، طبقات الأولياء ٢٩٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٧، نفحات الأنس ٢٩٨، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٣، شذرات الذهب ٢/ ٣١٥.

(٢) في الأصل: ثمان وعشرين وثمان مئة.

(٣) في الأصل: إلى الحكام.

بعضَ التلامذة أن يمشي إلى البستان، ويأتي بعودٍ طويل، فلمّا جاءَهُ به التلميذُ، أخذه وبعثَهُ إلى ذلك الجار، ووصّاه بأن يُهيِّجَ الحمام بَعْدُ بذلك العود؛ لئلا يتأذّى آخرُ من الحصيات التي كان يرميها، ولمّا اطّلعَ الرجلُ على الحال، وعرفَ غايةَ حلمِ الشيخ رحمه الله وتواضعه له، تابَ عن فعله، وتركَ اللعبَ بالحمام، وما كانتْ إلاّ ببركة حلم الشيخ.

نقل أنه قال: التقيتُ يومًا بثلاثة رجالٍ وامرأة قد حملوا جنازةً، فأنا دخلت تحتها، وحملتُ الطرفَ الذي حملته المرأةُ، وذهبنا بها إلى المقابر، وصلّيتُ عليها، ودفنّاه، ثم سألتُهم عن الميت، وعن حقارته، قالوا: إنّه كان مخنَّثًا، واستنكفتِ الناسُ عن حمل جنازته. فترحَّمْتُ عليه، ورجعنا، ورأيتُ تلك الليلة في المنام رجلاً منوَّرَ الوجه مثلَ البدر، وعليه لباسٌ فاخرة، جاء إليَّ مُبتسمًا مسرورًا، فقلتُ: من أنت؟ قال: المخنَّثُ الذي صلّيتَ عليه أمس، دفنتني وعاونْتَ في حمل جنازتي، فرحمني اللهُ وغفرَ لي بسبب تحقيرِ الناس إيّاي.

ومن كلامه ما نقل أنه قال: لو أنَّ رجلاً جمعَ العلومَ كلَّها، وصحبَ طوائف الناس لا يبلغُ مبلغَ الرجال إلاّ بالرياضة من شيخٍ أو إمامٍ أو مُؤدّبٍ ناصح، ومن لم يأخذْ أدَبَهُ من أُستاذٍ يريه عيوبَ أعماله، ورعوناتِ نفسه لا يجوزُ الاقتداء به في تصحيحِ المعاملات.

وقال: يأتي على هذه الأمةِ زمانٌ لا تَطيبُ المعيشةُ لمؤمنٍ إلاّ بعد استناده إلى مُنافقٍ.

وقال: أفَّ من الاشتغالِ بالدنيا إذا أقبلَتْ، وأفَّ من حسرتها إذا أدبرت.

و: العاقلُ من لا يركنُ ببلاءِ شيءٍ[1] إذا أقبلَ كان شُغلاً، وإذا أدبرَ كان حسرةً.

---

(١) كذا في الأصل، وفي طبقات الصوفية ٣٦٤: لا يركن إلى شيء.

وقال: لا تطمعُ في قوامِ رجلٍ ما قوموه[١].

وقال: مَنْ صحبَ الأكابرَ ولا يراعي ذمتهم يُحرمُ عن فوائدهِم وعن بركاتِ أنظارهم، ولا يظهرُ عليه شيءٌ من أنوارهم.

وقال: الفرعُ الصحيحُ لا يتفرَّعُ إلاّ على الأصلِ الصحيح.

وقال: من أرادَ أن تصحَّ أفعالُهُ، ويثبتَ هو على جادَّةِ السُّنةِ، فعليه بالإخلاص أولاً، فإنَّ الأعمالَ الظاهرة لا تصحُّ إلاّ بتصحيح الإخلاص في الباطن.

وقال: لا تعملوا لله عملاً إلاّ عملاً صحيحًا، ولا تجعلوا له تعالى العملَ الصَّحيحَ إلاّ إذا كان خالصًا، ولا تقدّموا الخالصَ[٢] إلاّ إذا كان مُوافقًا للسنة.

وقال: ينبغي أن لا يكونَ الرجلُ غافلاً عن أربعِ خصالٍ: الأولى: صدقُ القول. الثانية: صدقُ العلم. الثالثة: صدقُ المودَّة. الرابعةُ: صدق الأمانة.

وقال: العملُ حياةُ القلب، ونورُ العين من ظُلمة الجهل.

وقال: ويلٌ لمن باعَ الأشياءَ كلَّها بلا شيءٍ، واشترى اللاشيءَ بالأشياء.

أقول: يريدُ بالأشياء نعيمَ الآخرة، وباللاشيء نعيمَ الدنيا، وذلك ظاهر، والله أعلم.

رحمه الله، وحشرهُ مع الأبرار، وحشرنا في زمرتهم، إنه غفورٌ رحيم، حكيمٌ كريم، وصلّى الله على سيّدنا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه أجمعين.

* * *

(١) في طبقات الصوفية ٣٦٤: لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم، ولا تأديب من لا يتأدب.
(٢) وتُقرأ: ولا تقوّموا الخالص.